

بلطجة أردوغان تفرم جهود الحل في ليبيا

الحبيب الأسود
كاتب تونسي



وأن لا حل أمام الأوروبيين إلا الاعتراف بحقوقه التوسعية المزعومة في دول يقول إن له بها أقليات وجنورا ثقافية، ومنها ليبيا، التي يعتبرها ضيعة عثمانية قديمة أن له أن يستعيدها. ويريد أردوغان أن يبقى على وجوده في ليبيا ليلاعب به الإدارة الأميركية القادمة، التي يرى أنها ستترك الملف الليبي للأوروبيين، وهذا يبدو صحيحا، وكذلك لبيتز الروس قدر الإمكان، وليرجع المصريين وحلفاءهم الإقليميين، ويفرض أجنداته على دول الجوار، وهو إلى كل ذلك يريد إشباع نرجسيته المقتبة وأوهامه الإمبراطورية والإبقاء على الصورة التي ينظر بها إليه مناصروه من حزب العدالة والتنمية ومن القوميين الأتراك في الداخل والجماعات المتطرفة والإرهابية وعصابات الإسلام السياسي في الخارج.

لا يخفي أردوغان نظراته الاستعمارية للبيبا، وهو يجد من يدعمه في ذلك من بين الليبيين أنفسهم؛ جماعة الإخوان التي لا تحظى برصيد شعبي ولا بخزان انتخابي ومع ذلك تريد حكم البلاد والسيطرة على مفاصل الدولة، وأمرء الحرب المتورطون في جرائم لا تسقط بالتقادم ويبحثون عن حماية دائمة من سلطة القانون في حال تفعيل مؤسسات الدولة من جديد، والحيثان الكبيرة من الفاسدين ولصوص المال الذين يستغلون بظلال أردوغان من خلال الدفع بالأموال التي ينهبونها من ثروة الشعب للاستثمار في تركيا والتجارة معها، وأصحاب النزعات الانفصالية العرقية والجهوية ممن يريدون تأجيل الحل السياسي إلى حين اللحظة التي تحقق لهم غاياتهم.

وفي المقابل، هناك أغلبية ساحقة من الشعب تعاني ويلات الفقر والمرض والحرمان، وهناك قوى وطنية عاجزة أمام سيل الخيانات الجارف في كواليس الحكم في طرابلس، وهناك جيش وطني مكثل بالقرارات والتوصيات الدولية، وهناك قبائل ضجيجها أكثر من طحينها، وهناك متاجرون بكل شيء، ومساقدون في كل شيء، ومستفيدون من كل شيء، تجدهم في الشرق كما في الغرب، ومن مختلف التيارات الفكرية والتجارب السياسية، ومن النظام السابق، ومن إفراتزات أحداث فبراير 2011، ومن لم يتبلور لديهم بعد مفهوم الوطن والسيادة، وهم يميلون إلى ظلال الغزاة والمحتلين والدخلاء أكثر من ميلهم إلى الدولة والمجتمع والشعب الذي ينتمون إليه.

لا أدري بالضبط، ماذا ستقول وليامز أمام قرار أردوغان بتعميد وجود قواته ومرتزقته في ليبيا، ولا كيف ستحدثت بعد الآن عن إنجازها بتحديد يوم 24 ديسمبر 2021 موعدا للانتخابات، وهل يعقل تنظيم انتخابات برلمانية ورئاسية تحت حراب عسكر أردوغان؟ ولا أفهم كيف سيكون عمل اللجنة العسكرية المشتركة بعد أن ثبت أن النظام التركي داس على اتفاق جنيف بدمية، ولا كيف ستنتخب لجنة الحوار السياسي سلطات تنفيذية جديدة بينما العاصمة طرابلس تحت وصاية أجنبية معلنة، ولا كيف سيتجه الليبيون إلى المصالحة وبينهم من يستقون بدخيل أجنبي ويرون فيه الحاكم بامرهم.

لقد انتظر أردوغان اللحظة المناسبة ليأتي بفُرْمة إلكترونية، وضع فيها كل شيء: الحوارات والتفاهات والاتفاقيات والوعود والتعهدات والقرارات والبيانات والأجندات والحسابات ومصداقية الأمم المتحدة ومجلس الأمن والضغوط الإقليمية والدولية والمواقف الأوروبية والعربية والأفريقية وضغط على الزر.

في الوقت الذي يرحب فيه العالم بخطوات الليبيين نحو الحل السياسي للأزمة المستفحلة في بلادهم منذ تسع سنوات، يخطط رجب طيب أردوغان لأشياء أخرى، لعل أبرزها البقاء على الأراضي الليبية بقواته ومرتزقته وسلاحه ونخبرته إلى ما لا نهاية، في شكل واضح ومعلن ومقصود من أشكال العريضة والعبث، والدوس المنهوج على قرارات الأمم المتحدة والجهود الإقليمية والدولية. أردوغان يقول للجميع "أنا أفعل ما أريد فمأذا أنتم فاعلون؟" وما عرضه على البرلمان قرارا بتعميد وجوده في ليبيا 18 شهرا، إلا دليلا على أنه قرر الإطاحة باتفاق جنيف المبرم في 23 أكتوبر وما نتج عنه من مخرجات اجتماعات اللجنة العسكرية المشتركة في غدامس وسرت، بل وأن تكون الانتخابات التي أقرها ملتقى تونس وحددت الأمم المتحدة موعدا يوم 24 ديسمبر 2021، تحت وصاية نظامه، وبحضور قواته.

ماذا ستقول السيدة وليامز أمام قرار أردوغان بتعميد وجود قواته ومرتزقته في ليبيا وكيف ستحدثت عن إنجازها بتحديد موعد للانتخابات وهل يعقل تنظيم انتخابات تحت حراب عسكر أردوغان؟

بينما على توافقات الليبيين وجوارهم العسكري والسياسي والقرار الذي تضمنه اتفاق جنيف بمغادرة القوات الأجنبية والمرتزقة وجميع التعداد الدولية والأممية أن تنهب أدرج الرياح، وعلى الشعب الليبي أن يبني رهينة مناورات أردوغان وحلفائه في غرب البلاد.

لقد بق النظام التركي آخر مسمار في نعش مصداقية الأمم المتحدة بخصوص الملف الليبي، وأكد لستيفاني وليامز أن كل ما تقوم به لا يعنيه في شيء، وأصبح يتصيد الفرصة لشن حرب جديدة في ليبيا، وهو اليوم يمتلك حضورا كبيرا في غرب البلاد، واستطاع أمام أنظار العالم أن يجهز سربا كاملا من طائرات إف - 16 بقاعدة الوطية، وليده ما لا يقل عن أربعة آلاف عسكري تركي وأكثر من سبعة آلاف مرتزق سوري، مع سيطرة تكاد مطلقة على قرار حكومة السراج ومليشياتها، وهدفه التوسع شرقا وجنوبا، والسيطرة على منابع النفط والغاز، والدفع بقوات الجيش إلى زاوية ضيقة في شرق البلاد، تكون تحت غطاءه الثاري.

إن أردوغان من ذلك النوع الذي كلما ضاقت حوله الدائرة، اتجه إلى توسيع المشكلة أكثر، وهو اليوم يتحدى العالم بمواقفه في ليبيا، ويريد أن يقول لأوروبا إنه موجود على حدودها الجنوبية، وإنه قادر على التحكم في مسالك الإزهاب والتهدية والهجرة غير الشرعية، وإنه بصدد وضع يده على بوابة أفريقيا الشمالية، ومن اليسير بالنسبة إليه أن يعتمد في دول الساحل والصحراء، وأن يضرب مصالح دولة كفرنسا معتمدا على الجماعات الإرهابية التي تدور في فلكه وتسير في ركابه،



اليمن.. مخاطر التشرذم والاعتیاد

بالنظر إلى العقيدة التي تتبناها ميليشيا الحوثي وانتماؤها الفج إلى الأجنحة الإيرانية، وقد استوعبت الإدارة الأميركية المشكلة على الرحيل الصورة الكاملة، وذهبت في سبيل المساعدة على إنهاء الأزمة اليمنية إلى موضع الجرح مباشرة.

وأعلن وزير الخارجية الأميركي، مايك بومبيو، فرض عقوبات على المسؤول العسكري في فيلق القدس في الحرس الثوري الإيراني، حسن إيرلو، الذي أرسلته إيران إلى صنعاء في اليمن للعمل كضابط ارتباط مع حركة الحوثيين.

ويُنظر من الإدارة الأميركية المرتقبة أن تواصل على نفس هذا الخط حتى في إطار ما تعد به من إعادة النظر في اعتبار إلى الاتفاق النووي مع طهران، لا يمكن التسامح مع سلوك إيران السلبى والتخريبى في المنطقة، الذي يقوض الاستقرار ويشحن فرص التطرف والخراب، وإلا فإنه لا أمل بانقضاء هذه الدوامة التي تكادها المنطقة وتدفع ثمنها أجيال متعاقبة محرومة من العيش الكريم والمستقبل الواعد.

أعطى وصول إيرلو إلى صنعاء إشارة واضحة عن عزم طهران زيادة دعمها للحوثيين، وعدم نية الأخير الخروج عن المظلة الأيديولوجية التي استسلم لها وخضع لتوجيهاتها، الأمر الذي انعكس على تكثيف الحوثيين هجماتهم غير المحددة على الأراضي السعودية، تزامنا مع دفعات مهزبة من الطائرات المسيرة والصواريخ الباليستية الإيرانية ومعدات عسكرية متنوعة أرسلتها طهران خلال الأشهر الأربعة الأخيرة، وبالتالي تعقيد المساعي الدولية للتوصل إلى تسوية للصراع.

قد لا يعيد التاريخ نفسه بالضرورة، لكنه يبقى كتابا مفتوحا ونابضا بالواقع الراهن هو الآخر يمكن أن يقدم الدروس العملية عن سودوية النهاية المتوقعة في حال استمر ارتهاق بلد ما إلى الأجنحة الإيرانية، ولعل شواهد لبنان والعراق كافية لتتوقف ميليشيا الحوثي عن الاستمرار والإصرار على إلحاق اليمن وربطه بالمظلة الإيرانية.

أما وإن لم يقلع الحوثي عن سلوكه المشين بحق شركائه على الأرض اليمنية، فإن مواصلة قطع الطريق عليه ضرورة وطنية وأمنية تتطلب التنازل عن "المعارك الصغيرة" والكف عن مراهقات الهوامش الجانبية.

الخلافات داخل الصف اليمني في مواجهة الحوثي تسببت في الكثير من الأضرار في فعالية المشروع الوطني وأدت إلى اضطراب الصف الواحد وعززت أقدام الحوثي على الأرض ومكنته من السيطرة على صنعاء

يترامن هذا مع السلوك المريب الذي تبديه جماعات أيديولوجية تشترك مع الدوحة في الانضواء تحت لواء العداء للرياض وأبوظبي وبقية عواصم الاعتدال والاستقرار في المنطقة، وتستهدف عبر الإستراتيجية الإعلامية والسياسية وحتى الاستخباراتية، تفكيك جبهات المواجهة ضد الحوثي وإضعاف صلابة الموقف الوطني اليمني التناذب لتلويحات الهويات والمرجعيات المتنافية. منذ وقت مبكر، دعمت قطر الميليشيا الحوثية بالمال والسلاح والإعلام والعلاقات، وعملت على زعزعة الاستقرار في اليمن، ومنذ الأزمة الخليجية صارت هذه السياسة القطرية واضحة، ولا يعرف إذا كانت المصالحة المرتقبة ستنتهي هذه السياسة الرعناء وتوقف الدوحة عن مواصلة تورطها في اليمن.

بالإضافة إلى طول أمد الأزمة، فإن الخلافات البينية داخل الصف اليمني المقابل لميليشيا الحوثي تسببت في كثير من الأضرار في سلامة وفعالية المشروع الوطني واضطراب الصف الواحد، وفي تعزيز أقدام الحوثي على الأرض وتعزيز سيطرته على العاصمة صنعاء وبقية المفاصل الحيوية على القرب اليمني، وإنهاء الخلاف وتثبيت مكتسبات اتفاق الرياض ضرورة تزداد إلحاحا بالنظر إلى ما يقاسيه الحوثي والراعي الإيراني من هشاشة وضعف، وهو يتقلب على جمر الانتظار برفع أغلال العقوبات عن كاهله، لا يمكن أن يقبل المحيط العربي ولا المجتمع الدولي بجماعة ميليشياوية توالى طهران، وتقصى بقية الأطراف المحلية، وقد مُنح الحوثي فرصة أن يعيد دمج كيانه ضمن المجموع اليمني، لكن تعنته جرّ عليه عزم الإدارة الأميركية تصنيف الحوثيين المدعومين من إيران منظمة إرهابية، بعد فرضها عقوبات استهدفت مسؤولين منهم تورطوا في عمليات تعذيب نساء وأطفال.

تضعف فرص السلام بوصفه النتيجة المتوخاة من عمل تحالف دعم الشرعية، وأفضل أرضية لتحقيق استقرار اليمن وسلامة أهله.

لم يعد في وسع "تحالف دعم الشرعية" أن يتسامح مع الخلافات التي تُسبب الجهد العسكري والسياسي والحرمان، وهناك قوى وطنية عاجزة أمام سيل الخيانات الجارف في كواليس الحكم في طرابلس، وهناك جيش وطني مكثل بالقرارات والتوصيات الدولية، وهناك قبائل ضجيجها أكثر من طحينها، وهناك متاجرون بكل شيء، ومساقدون في كل شيء، تجدهم في الشرق كما في الغرب، ومن مختلف التيارات الفكرية والتجارب السياسية، ومن النظام السابق، ومن إفراتزات أحداث فبراير 2011، ومن لم يتبلور لديهم بعد مفهوم الوطن والسيادة، وهم يميلون إلى ظلال الغزاة والمحتلين والدخلاء أكثر من ميلهم إلى الدولة والمجتمع والشعب الذي ينتمون إليه.

على الفراء اليمنيين أن يتوقفوا عن لعبة التفانس الهامشية، بينما يترب قلب اليمن من باس المتاعب المتراكمة، وحتى لا ينصرف عنه المشغولون باستقراره وإرساء السلام فيه، لاسيما وأن تراكم الأحداث التي تخقل المنطقة يتسبب في انزواء الأزمة اليمنية عن صدارة المتابعة والاهتمام، بعد أن تراجعت الآن عن عناوين الأخبار، وأضحت تقصيرا مهملًا في خانة المتابعة الخبرية، الأمر الذي يعطي مؤشرا مقننًا عما يمكن أن تؤول إليه المسألة.

ولأجل اليمن، من الضروري أن تنجح جهود السياسية وأن يتوقف "المنطق" الصراعات الصغيرة على الأرض، كما قال وزير الدولة الإماراتي للشؤون الخارجية أنور قرقاش. "أعلن الأميركيون الأسبوع الفائت اعتراض قرابة طن من المخدرات في طريقها إلى اليمن، تضاف إلى شحنات ضبطت خلال شهرين، وقبل شهر أوقفت سفينة إيرانية كانت تقوم بالتهدية بغطاء الصيد، ومطلع العام، أوقفت شحنة أسلحة إيرانية في طريقها إلى الحوثي".

يصور هذا المقطع من شريط الأخبار، قيمة ومعنى استمرار الأزمة اليمنية بالنسبة إلى بلد مازوم هو الآخر: إيران التي تقف من وجع اليمنيين لتمويل اليات بقاء النظام الأيديولوجي، واستخدامه ورقة ضغط ومساومة على طاولة المفاوضات المرتقبة مع الواصل الديمقراطي الجديد إلى البيت الأبيض.

كما تواصل الدوحة سلوكها السلبى والتخريبى في تفخيخ مسارات السلام والاستقرار في اليمن، وتمثل بذلك الوجه الآخر من عملة المستثمرين والمستفيدين من استمرار أزمته ونزيفه. ورغم الأجواء الإيجابية التي تخيم في سماء قطر مع جوارها الخليجي، إلا أنها جددت نهجها الدعائي الخبيث، وأصدرت سلة برامجية جديدة على شاشة الجزيرة تستهدف أطرافًا من التحالف العربي، وتحريض المجتمع اليمني على ما تسميه "خفايا وكواليس التمرد الإماراتي على ساحل البحر الأحمر في اليمن".

عمر علي البديوي
صحافي سعودي

عمر علي البديوي صحافي سعودي

عمر علي البديوي صحافي سعودي

عمر علي البديوي صحافي سعودي

عمر علي البديوي صحافي سعودي

عمر علي البديوي صحافي سعودي